من شرفات التاريخ

من صراع الإسلام ضد المجوسية[(١)]

أهوىٰ أبو جعفر المنصور[(٢)] علىٰ أبي مسلم الخراساني فقتله، فقضىٰ علىٰ المجوسية التي حالفتها الصهيونية، قضىٰ علىٰ النمر الأحمر المتوثب الذي كان يعمل، لتستبدل المجوسية دينًا، ولغة وتقاليدًا وسلطانًا بالدولةِ الإسلامية، ولتسيطر عليها سيطرةً رهيبة ماجنة العدوان، ولكن المجوسية التي تلهب أحقادها الصهيونية لم تنس ثاراتها عند أبي جعفر، فحشدت جنودها من كل صقع، وألهبت أحقادهم، وسَعَّرَت أضْغَانَهم علىٰ دولة الإسلام وخليفتها المنصور، وبثت في نفوسهم تلك الأسطورة التي توارثتها الصهيونية من قديم، تلك التي تزعم أن روح الله سبحانه تحل في بعض البشر، فتجعل منه إلهًا تسبِّح باسمه السماء والأرض، وقد أسبغت الصهيونية هذه الأسطورة الملحدة علىٰ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم من بعده علىٰ أولادِه وأسباطِه وأحفاده.

ثم جاء دور أبي مسلم، لتدخله الصهيونيةُ في مُتْحف الآلهة، حتىٰ يعلم ذئابها أنهم يقاتلون في سبيل إله قُتِل، ويَفْتِكون باسم إلهٍ سُفِحَ دمه، والقتال في سبيل إله غير القتال في سبيل بشر؛ إنه يكون قتالًا وراءه عقيدة مصممة، وإرادة يلهبها

---

(١) (١٠/ ١٣٧٨هـ).

(٢) ولد أبو جعفر المنصور سنة ٩٥هـ في شهر ذي الحجة، وبويع بخلافة الدولة العباسية في ١٢ ذي الحجة سنة ١٣٦هـ، ٨٨٥م وتوفي ٦ من ذي الحجة سنة ١٥٨هـ، فكانت ولايته اثنتين وعشرين سنة، وقد مات وهو ابن ثلاث وستين سنة.

الحماس الديني، قتالًا مريرًا يَسْتَحِبُّ التضيحة والاستشهاد، ويتّسِم بالفدائية التي تحرص علىٰ الموت أكثر مما تحرص علىٰ الحياة.

هذا ما دبرته الصهيونية قديمًا، لتقضي علىٰ كل مجتمع لا يدين بالصهيونية، ولتجعل ممن يؤمنون بأساطيرها، أناسًا تستخفهم لما تريد هي من سلب ونهب وفتك وتدمير.

وشاعت في المجوسيين أُلوهية أبي مسلم، فصمموا علىٰ أن يثأروا لهذه الألوهية التي اسْتُبيحَ جسدُها، وبقيت روحها في قدس الخلود تشع إشراقها السماويَّ هديًا وإلهامًا، والتي تتحين الفرصة، لتختار جسدًا آخر قسيمًا وسيمًا، فتحل فيه، فتعود إنسانًا إلهيًّا أو إلهًا إنسانيًّا.

وخرج بهؤلاء «سنباذ»[1] في ثورة جامحة، قبل أن ينسوا ثأر الألوهية المسفوحة الدم، ألوهية أبي مسلم!! ومن أين؟

من نفس المكان الذي ربت فيه الصهيونية نمرها الأحمر: أبا مسلم، خرج من خراسان. خرج مطالبًا بدم الإله القتيل، واستجابت له الأحقاد المغلوبة علىٰ أمرها، فاستولىٰ علىٰ «قومس والري»، وهناك خلع علىٰ نفسه لقب «فيروز أصبهبذ»، واستولىٰ علىٰ خزائن أبي مسلم بالري، وراح يُعْمل كل كراهيته وبغضائه، فيسبي النساء، ويسلب الأموال، ويدمر الحرمات، ملهبًا أفواج الصهيونية بالحماس؛ إذ أعلن لهم أنه سيهدم الكعبة.

---

(١) كان خروجه في سنة ١٣٧هـ، أي في السنة التي قتل فيها أبو مسلم، وهو من إحدىٰ قرىٰ نيسابور، وفي بعض الكتب يسمىٰ «سنباد»، وفي مروج الذهب يسمىٰ «بسنفاد».

وعلم أبو جعفر المنصور، فوجه إليه جهور بن مرار العجلي في عشرة آلاف فارس، فالتقىٰ الجمعان بين همذان والري علىٰ طرف المغارة، ورأىٰ جهور أن لا بُدَّ من مطاولته حتىٰ يضمن النصر؛ إذ حشدت الصهيونية كل قواها لهذه المعركة، لتنتقم من الإسلام ودولته، ورأىٰ سنباذ أن يخزي المسلمين، وأن يكيد لهم، فجعل علىٰ مقدمة جيشه السبايا من المسلمات علىٰ الجمال.

وهنا يسجد التاريخ لقهر القدر وغلبه[1]، وهنا يسجل التاريخ لأولئك المسلمات موقفًا بطوليًّا رائعًا، فإنهن لم يبالين بمن وراءهن من جيش سنباذ، أو بأنهن معرضات للحتوف والهلاك، إن فعلن شيئًا فيه استثارة لهمم المسلمين، ولكن هؤلاء المسلمات لم يتذكرن إلا شيئًا واحدًا، هو الإسلام، هو التضيحة في سبيل أن يكون له ولدولته الْغلَبُ، فقمن في محاملهن، وصحْن صيحةً توقظ الحميَّة، بل تسعرها حتىٰ في الجماد، إذ نادين من أعماق الجراح، ومن أبعدِ أغوار المأساة التي عانَيْنها، والتي رأَيْنَ المسلمين فيها، وهي أن تُسْبىٰ نساؤهم، وكان أمرهم غير ذلك. صحن: (وامُحَمَّداه!! ذهب الإسلام).

ورحم القدر هذه الصيحة، فاستجاب لها، فكشفت الريح عن أثواب النساء، مما جعل الجمال التي تحملهن تنفر، وتتقهقر إلىٰ الوراء في فزع وخوف، فتثير ارتباكًا وخللًا في نظام جيش سنباذ، ويتفرق عسكره، وينتهز المسلمون الفرصة فيهجمون علىٰ جيش سنباذ، وقد ثارت فيهم حمية صادقة، وعزيمة مصممة علىٰ النصر، فكان أن هُزِمَ هذا الجيش الذي حشدته الصهيونية؛ لتحطم به بناء

(١) هذا تعبير بلاغي من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولا يحمل علىٰ الحقيقة. (ض).

الإسلام الضخم، هزم هزيمة منكرة، وبعد قليل قتل قائده[١].

وخنست الصهيونية إلىٰ أن تمكنها الفرصة من الوثوب، حتىٰ سنة ٧٤٠ هجرية، فخرجت تتقنع بالحيلة وتحتال بالمكر، وقد تسمت باسم «الراوندية» ومن دين هذه الطائفة الإيمان بتناسخ الأرواح[٢]، وبأن روح الله سبحانه تتجلىٰ علىٰ مدىٰ الأعقاب فيمن يختارهم ليكونوا مظهرًا لذاته.

وأراد هؤلاء أن يخدعوا أبا منصور عن دينه، فزعموا أنه هو «ربهم» الذي يطعمهم ويسقيهم، وأن عثمان بن نهيك قائد حرسه هو جبريل، ثم اندفعوا يطوفون حول قصر المنصور في الكوفة صائحين: (هذا قصر ربنا)، ولكن المنصور لم تخدعه هذه الصيحة الكافرة عن دينه، لم يسعده أن تُخْلع عليه صفة الربوبية، بل نفر منها سمعه وقلبه، فأمر بالقبض علىٰ هؤلاء، واستحوذ سجن المنصور علىٰ مائتين من زعمائهم، ووجد الراوندية أن دين المنصور لم يزل يعصمه من الفتنة، فطاشت أحلامهم، فاندفعوا يحملون نعشًا زاعمين أنهم يشيعون جنازة ميت، ولم يتبين أحد حقيقتهم، حتىٰ إذا حاذوا السجن قتلوا حراسه، وأطلقوا سراح زعمائهم،

---

(١) قتل من جيش سنباذ ستون ألفًا غير من سبي من ذراريهم، فما بالك بالجيش كله، أما سنباذ قائده، فقصد والي طبرستان ملتجئًا إليه، فأرسل إليه عاملًا من قبله، اسمه طوس، بيد أن سنباذ تعالىٰ عليه، فقتله طوس.

(٢) **الإيمان بتناسخ الأرواح**: دين قديم يزعم أن الروح لها عودة إلىٰ الدنيا، فإن كانت صالحة ظهرت في صورة إنسان صالح، وإن كانت طالحة ظهرت في صورة حيوان حقير، أو إنسان شرير، ولهذا يقول الواحد من المؤمنين بهذه الأسطورة: لقد كنت موجودًا من قبل عدة مرات، أو منذ آلاف السنين!!

ثم زحفوا مهرولين نحو قصر المنصور، وقد صمموا تصميمًا لا يرهبه بطش، ولا يثنيه وعيد، علىٰ قتل ذلك الذي قتل إلههم أبا مسلم.

ولم يرض أن يكون لهم بعد أبي مسلم ربًّا يعبدونه، أو قل لم يرض أن يكون خنجرًا تغيبه الصهيونية في صدر الإسلام، وكان عدد هؤلاء ستمائة رجل، في كل رجل منهم تلتهب الأحقاد وآلاف الأضغان، في كل رجل منهم تاريخ عتيق قديم للصهيونية يستحثه أن يعيد إليها هيكلها وملكها ومَبْكاها!!

وتنادىٰ الناس، وغلقت أبواب المدينة علىٰ من فيها، وساد الرعب والفزع في صفوف سكان المدينة، وعلم أبو منصور، فاحتشد تاريخ الإسلام كله في قلبه، وثارت كل حمية عربية مسلمة في نفسه، ومرت بخاطره بطولات وبطولات، فأبىٰ إلا أن يضع للتاريخ مثلًا أعلىٰ آخر للبطولة العربية المسلمة، فصمم علىٰ أن يخرج بنفسه لهؤلاء الذين يريدونه وحده، وقد خافهم الناس وهربوا منهم، وتركوهم لأبي جعفر، وتركوا أبا جعفر.

وهنا يسجل التاريخ موقفًا لا ينسىٰ للشهامة العربية، والمروءة العربية، والنجدة العربية بعد أن صقلها الإسلام، فجعل منها درةً تضي في تاج أمجاد التاريخ والأخلاق. كان ثمَّتَ معن بن زائدة الشيباني(١)، وكان المنصور قد هدر

(١) أبو الوليد، معن بن زائدة بن عبد الله بن مطر بن شريك بن الصلب - عمرو بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان.

أدرك العصرين الأموي والعباسي، وهو أحد أبطال الإسلام، وأحد الشجعان الفصحاء، جزل العطاء، ومن أشهر أجواد العرب، حتىٰ بلغ كرمه إلىٰ أعدائه، فأدهش الناس بعطائه فقصدوه.

تمتع معن بن زائدة الشيباني برجولة نادرة، وشهامة عربية عزيزة المثال، فقد كان مكرمًا عند =

....

=

بني أمية ينتقل بين الولايات، ووقف إلىٰ جانبهم في أثناء صراعهم مع العباسيين، وبقي معهم حتىٰ انهارت دولتهم.

فلما استتب الأمر للعباسيين خاف منهم، وظل معن في البلاد مستترًا عنهم هائمًا في الأرض، ينتقل من مكان إلىٰ آخر، حتىٰ لوّحته الشمس، وكان يتتبع الأحداث وهو متخفٍّ حتىٰ لا تصل إليه يد العباسيين، فلما استقام الأمر للخليفة المنصور، رأىٰ معن بن زائدة أن من حسن السياسة أن ينضم إليه لكنه تمهل في الأمر حتىٰ تحين له الفرصة المناسبة، وجاءته الفرصة سانحة يوم الهاشمية، وهو يوم مشهور ثار فيه جماعة من أهل خراسان علىٰ المنصور سنة ١٤١هـ، بعد مقتل أبي مسلم الخراساني فحاصروا قصر المنصور وأرادوا قتله، فجرت موقعة بينهم بالهاشمية - وهي مدينة بناها السفاح بالقرب من الكوفة - وكان معن متواريًا بالقرب منها، فخرج متنكرًا ملثمًا وانضم إلىٰ جماعة المنصور، وقاتل قتالًا فيه نجدة وشهامة، ودافع عن المنصور حتىٰ فرّق الثائرين وهزمهم، فسأله الخليفة المنصور: من أنت ويحك؟! فكشف لثامه في عزة وقال: أنا طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة، فأمّنه المنصور وعفا عنه وأكرمه، وصار بعد ذلك من خواصه بعد أن كان قد جعل لمن يجده مالًا جزيلًا.

بعد يوم الهاشمية تحسنت علاقة معن بن زائدة بالخليفة العباسي، فولّاه اليمن لقمع فتن الخوارج وإخضاعهم بعد هرب عبد الله بن الربيع عامل العباسيين عليها.

وتذكر المصادر أن معن بن زائدة لاحق خوارج اليمن وأعمل القتل فيهم، وقتل أحد زعماء الخوارج عبد الله بن يحيىٰ الحضرمي وخمسة عشر ألفًا معه. وبعد فرض السيطرة علىٰ اليمن قصده الناس من كل مكان لاشتهاره بالجود والكرم، ففرق فيهم الأموال، فسخط عليه الخليفة المنصور، فوجّه معن بن زائدة وفدًا من قومه فيهم مجاعة بن الأزهر وسيرهم إلىٰ المنصور ليزيلوا غيظه وغضبه، وتمّ له ذلك. =

دمه لقتاله مع ابن هبيرة ضد المنصور.

ورأىٰ معن الراوندية، وقد احتشدوا بباب المنصور، ورأىٰ المنصورَ في هذه الوقعة التي خلد التاريخ ذكرها، رآه، وقد خرج بنفسه، وقد شرع سيفه، وعلىٰ وجهه التصميم القاطع، وعلىٰ سيفه تتوعد المنايا السود من يدنو منه، رآه يندفع إلىٰ الراوندية غير هياب ولا وجل، بل رأىٰ الإقدام البطوليَّ المستشهد، رأىٰ ستمائة حقد، ستمائة لؤم، ستمائة مكر دنيء، ستمائة بغضاء تتلظىٰ في قتالها لرجل واحد هو المنصور، ورأىٰ المنصور وقد صمد وحده لهؤلاء المهاجمين.

ونسي معن بن زائدة نفسه، نسي أنه مهدور الدم من المنصور، وذكر تمامًا أنها معركة الإسلام، وليست معركة المنصور، فاندفع مُتَلَثِّمًا، يقاتل دون المنصور، قتالًا مريرًا مُسْتَلْئِمًا، ترتجف من صولته قلوب وقلوب، حتىٰ دنا من المنصور، فأمسك بلجام بغلته قائلًا للربيع حاجبه: (تَنَحَّ فأنا أحق بهذا اللجام منك في هذا الوقت وأعظم غناء).

لقد أراد البطل العربي أن يفتدي عدوه المنصور بنفسه، رضيًّا سعيدًا، أن يفتدي كرامة الإسلام وعزة الإسلام ومجد الإسلام، وقال المنصور لحاجبه: (صدق

=

وعلىٰ الرغم من كل الصعوبات التي واجهها معن في قتال الخوارج، ظل واليًا علىٰ اليمن تسع سنين، ثم استدعي إلىٰ بغداد حيث عَهد إليه المنصور بولاية سجستان أواخر سنة ١٥٠هـ، فأقام في بُسْت واشتد في قتال الخوارج، كما قاد عدة حملات ناجحة إلىٰ بلاد الأفغان وخاصة إلىٰ الرُخج وزابلستان، وفرض علىٰ الملك رتُبيل أن يدفع المال المفروض عليه كل سنة.

قتل معن في أثناء ولايته علىٰ سجستان، ففي سنة ١٥٢هـ، وبينما كان في منزله عمالٌ يبنون له بيتًا، اندس بينهم قوم من الخوارج فدخلوا عليه وقتلوه، لأنه كان قد اشتد في قتالهم وأفنىٰ منهم خلقًا كثيرًا، فثأروا منه. (ض).

فادفعه إليه) وأطاح سيف معن برقاب الكثير من المعادين، فحال بينهم وبين المنصور، وأبعد الخطر الداهم عنه، وقال المنصور للبطل المقَنّع: من أنت؟ وقال معن بن زائدة: طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة!!

فقال المنصور وقد استبدت بفرحته وعجبه روعة المفاجأة، وهذه الأريحية العربية المسلمة الرائعة: (آمنك الله علىٰ نفسك. ومالك وأهلك، مثلُك يُصْطَنَع)[1].

ورأىٰ الناس إقدام المنصور، واستهانته الموت، فهفوا سراعًا، وقد استيقظت نخوتهم، وتذكروا ربهم ودينه الذي هداهم به، وما زالوا بهؤلاء الراوندية حتىٰ قتلوهم... وانجلت المعركة عن نصر حاسم.

وصلىٰ المنصور الظهر، ثم دعا بالعشاء[2]، وأحضر مَعْن بن زائدة، ورفع منزلته، ثم قال المنصور لعمه عيسىٰ بن علي بن عبد الله بن عباس: (يا أبا العباس، سمعت بأشد رجل؟) قال: نعم.

فقال المنصور: (لو رأيت اليوم معن بن زائدة لعلمت أنه منهم)، وقال معن: (والله يا أمير المؤمنين، لقد رأيتك، وإني لَوجِلُ القلب، فلما رأيت ما عندك من الاستهانة بهم وشدة الإقدام عليهم، رأيت ما لم أره من خَلْقٍ في حرب، فَشَدّ ذلك من قلبي، وحملني علىٰ ما رأيت مني).

---

(١) قال مروان بن حفصة يمدح معنًا في هذه الموقعة:

معن بن زائدة الذي زيدت به ... شرفًا علىٰ شرف بنو شيبان
ما زلت يوم الهاشمية معلنًا ... بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حورته وكنت وقاءه ... من وقع كل مهند وسنان

(٢) طعام ما بعد الظهر.

تلك معركة خاضها الإسلام ضد الصهيونية التي تتقنع في كل حقبة من حقب التاريخ بأقنعة مختلفة الصورة. معركة خاضها رجل بقوة وعزيمة وإيمان، فخاضها معه آلاف المتحمسين لدينهم، فانتصروا، ثم مسحوا الدماء عن سيوفهم، ليخوضوا مع الصيهونية معارك ومعارك.

